وقال ابن حبان : فيه غفلة ، ورداءة حفظ ، فكان يرفع المراسيل وهو لا يعلم ويسند الموقوف من حيث لا يفهم ، فبطل الاحتجاج به (١) .

وأمثال هذه الرواية كثير فى كتابه سأتعرض لبعضها بعد قليل .

❋ ❋ ❋

## هل كان أبو هريرة تلميذاً لكعب الأحبار(٢) ؟ :

وكما اتهمه عبدالحسين(٣) بالأخذ عن كعب الأحبار اتهمه أيضاً أبوريّة بذلك ، وهوّل هذا الزعم ، وصوّره مؤامرة دبرها كعب الأحبار لبث الإسرائيليات فى الدين الإسلامى ، وجعل أبا هريرة مطية له من أجل ذلك ، ويرى أبو رية أن كعباً ( قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى من خرافات وأوهام ، وكان له فى ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة ص ١٧٢ ) ويرى أبو ريّه أن كعباً كان يثنى على أبى هريرة وعلى معرفته لما فى التوارة ، ليثق الناس به ويأخذوا عنه حديثه الذى يلقنه إياه كعب . هكذا يتصور أبو ريّة ، ويرى أبا هريرة ألعوبة فى يد كعب يأخذ عنه ويدعى أنه سمع من الرسول ! ! ! ما كان لكعب ولا لغير كعب أن يشترى ضمير أبى هريرة الذى عرفناه فى أمانته وصدقه وإخلاصه . وحاول أن يستشهد ببعض الأحاديث ليدعم زعمه إلا أنه لم يوفق فى واحد منها (٤) .

---

(١) المرجع السابق : ٨/٢٦٤ وميزان الاعتدال : ٢/٣٢٧ ، ترجمة ٢٦١٤ .

(٢) انظر أضواء على السنة المحمدية : ١٢٥ . فقد ذكر المؤلف رواية أبى هريرة وعبد الله بن عمرو حديث « حدثوا عن بنى اسرائيل ... » . ثم قال : وأبو هريرة وعبد الله ابن عمرو من تلاميذ كعب الأحبار .

(٣) أبو هريرة ، ص ٥٧ .

(٤) فقد رد عليه كل ما ادعاه الأستاذ عبد الرحمن المعلمى اليمانى فى كتابه : الأنوار الكاشفة ، ومدير دار الحديث بمكة الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة فى كتابه : ظلمات أبى رية ، وفضيلة الأستاذ محمد محمد السماحى أستاذ علوم الحديث فى كلية أصول الدين فى كتابه: المنهج الحديث . ثم نشر رده فى كتاب سماه ( أبو هريرة فى الميزان ) . وهذه الردود تفصيلية . وكان الدكتور مصطفى السباعى رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق يطبع كتابه ( السنة ) فتعرض للرد على أبى رية ( ص ٣٠٥ — ٣٦٤ ) رداً قوياً ، إلا أن سوء أحواله الصحية ومرضه حال بينه وبين الرد التفصيلى عليه .

والمشهور عن أبي هريرة أنه كان يعزو كل ما يحدِّث به عن غير النبي صلى الله عليه وسلم إلى قائله ، فبالأحرى أن يبيِّن حديث كعب ، وما يقوله له كعب ، ولا يمكن لإنسان أن يتصوّر أبا هريرة الذى روى حديث « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يكذب على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وينسب ما يقوله كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخاصة أن كعب الأحبار لم يلق النبي عليه الصلاة والسلام . فإن كان أبو هريرة وابن عباس قد سمعا من كعب ورويا عنه فإنما رويا أخبار الأمم الماضية وعزواها إليه . وربما يكون بعض السامعين قد خلط بين ما يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما يرويه من القصص عن كعب ، ويثبت ذلك ما قاله بشر بن سعيد : ( اتقوا الله ، وتحفظوا من الحديث ؛ فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدّثنا عن كعب ( الأحبار ) ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

فليس فى تحديث أبي هريرة عن كعب أى حرج أو مانع وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « حدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » ، ولكن ليس لأحد أن يزعم أنه كان ينسب ما يحدِّث به عن كعب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد بان وجه الحق فيما رويناه من أن بعض من كان يسمع ذلك كان يخطىء فى نسبة ما سمع من أبي هريرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . . فما جريرة أبي هريرة فى ذلك ؟ .

والغريب من أمر المؤلف أنه يتعجب من بعض الأحاديث التى يرويها أبو هريرة ويوافقه عليها كعب ، ويستشهد بما يؤيدها من التوراة . مثال ذلك ، قوله : ( وإليك مثلا من ذلك نختم به ما ننقله من الأحاديث التى رواها أبو هريرة عن النبي وهى فى الحقيقة من الإسرائيليات حتى لا يطول

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤٣٦/٢ عن بشر بن سعيد وأخرجه مسلم عن بشير وهو الأصح .

بنا القول : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، اقرأوا إن شئتم : وظل ممدود » . ولم يكد أبو هريرة يروى هذا الحديث حتى أسرع كعب فقال : صدق والذى أنزل التوراة على موسى ، والفرقان على محمد . . ) (١) .

ما وجه الإنكار لهذا الحديث ، وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم عدد من الصحابة ، وأخرجه الأئمة الأعلام فى الصحاح والسنة والمسانيد والمصنفات ، ورواه عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين ، فهل خدع كعب أولئك الصحابة والصحابيات الذين رووه أيضاً ، وما هى غاية كعبٍ فى قوله هذا ؟ أم أن هناك غايات وراء الميول والأهواء التى حملت أمثال هؤلاء على النيل من السنة ورواتها للتشكيك فيها بمجانبة البحث العلمى حيناً وبالتدليس والكذب أحياناً .

هذا الحديث الذى أنكره ، حديث الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام فى الجنة ولا يقطعها ، رواه الأئمة الأعلام وسأذكر أكثرهم لا على سبيل الحصر :

رواه أحمد عن أبى هريرة فى مسنده .

ورواه مسلم عنه فى صحيحه .

ورواه البخارى عنه فى صحيحه .

ورواه عبد الرزاق عنه فى مصنفه .

ورواه ابن جرير الطبرى عنه فى تفسيره .

ورواه الترمذى عنه فى كتابه الجامع الصحيح .

وسمعه من أبى هريرة الأعرج ، وعبد الرحمن بن أبى عمرة ، وهمام ابن منبه ، ومحمد بن زياد ، والمقبرى ، ومحمد بن سيرين ، وأبو الضحاك ،

---

(١) أضواء على السنة المحمدية : ١٧٧ ، وروى هذا الحديث الإمام مسلم .

ومحمد بن عمرو بن أبى سلمة ، وعبد الرحيم بن سليمان ، وزيادة مولى بنى مخزوم .

وروى هذا الحديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم . وأخرجه البخارى عنه فى الصحيح ، وأبو داود الطيالسى فى المسند ، وأبو يعلى الموصلى فى المسند أيضاً .

وروى هذا الحديث أيضاً أبو سعيد الخدرى وسهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه عنهما البخارى ومسلم فى صحيحيهما (١) .

قال ابن كثير : فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلوات الله عليه ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله . (تفسير ابن كثير ط المنار ص ١٨٧ و ١٨٨ ج ٨).

وأخرج حديث أبى هريرة أيضاً :

ابن أبى شيبة فى المصنف ، وهناد فى المسند ، وعبد بن حميد فى المسند ، وابن المنذر فى تفسيره ، وابن مردويه فى تفسيره .

وأخرج حديث أنس أيضاً :

أحمد فى المسند ، والترمذى فى جامعه ، وابن جرير فى التفسير ، وابن المنذر فى التفسير ، وابن مردويه فى التفسير .

وأخرج حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً ابن مردويه فى تفسيره .

وروى ابن عباس الحديث موقوفاً عليه ، وأخرجه ابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما (٢) .

وروت أسماء بنت أبى بكر الصديق هذا الحديث وأخرجه الترمذى (٣)

---

(١) انظر جامع الأصول ، ص ١٣٨ ، ج ١١ .

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطى ، ص ١٥٧ ، ج ٦ .

(٣) انظر جامع الأصول ، ص ١٣٨ ، ج ١١ . وينظر حديث أبى هريرة أيضاً فى مجمع الزوائد ، ص ٤١٤ ، ج ٨ .

بعد كل هذا هل من سبيل لاتهام أبى هريرة رضى الله عنه ؟ أيتهمه الكاتب لأنه روى بكل أمانة ما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم كما سمع غيره وروى ! ! ؟

أصبح واضحاً لكل ذى لب أن الطعن فى أبى هريرة مقصود لذاته ، وفى سبيل توهين السنة وزعزعة ثقة الناس برواتها . . . وكل هذا لا يستقيم على منهج البحث ، ولن يتحقق شىء منه لمن أبغض الصحابة إشباعاً لميله وهواه . . . .

لم يبق سبيل لإنكار الكاتب هذا الحديث على أبى هريرة ، أم أنه ينكره لضخامة الشجرة ، أو لسير الراكب مائة عام فى ظلها ؟ أم أنه أنكر عليه كل هذا لأنه لم يعهد فى حياته مثلها ؟ .

هل يريد الكاتب أن ينفى كل ما لم يتصوره عقله وتفكيره ؟ إن أراد هذا وجب عليه أن ينفى كثيراً من المخترعات التى نسمع بها ولا نراها ، أو ينفى كثيراً مما جاء فى القرآن الكريم . بل عليه أن يترك جانباً عظيما من اللغة العربية ، ذلك لأن بعض ما جاء فى السنة من ألفاظ وعبارات ، إنما جاء على نسق وسنن ما حكاه القرآن الكريم من عبارات سيقت من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، تخاطب الإحساسات النفسية والنفوس البشرية لتتصور عظمة ما يمثله القرآن الكريم من الثواب والعقاب . . لذلك وجب علينا أن نصرف الألفاظ والعبارات التى لا تطابق الحقيقة إلى المجاز ، فللعدد معنى خاص لا يتناول غيره ، وقد أجمع المفسرون على أن بعض ما ذكر من الأعداد فى القرآن الكريم إنما جاء للتكثير لا للحصر ، وكذلك ما جاء فى السنة — فى مثل هذا المقام — من العبارات الكثيرة التى لا تتناول حقيقة العدد . وهنا إنما ورد للتكثير وبيان إتساع ذلك الظل الذى أعده الله تعالى للمؤمنين ، فمن الخطأ أن يجعل المؤلف الحقيقة والواقع ميزاناً لتلك الألفاظ التى وردت من باب المجاز ، لأنه فى ذلك سيجانب القواعد المسلمة فى اللغة ، ويقع معها فى أخطاء فادحة ، لا يقره عليها أحد ، ويلزم من هذا عدم فائدة الاستعارات والكنايات ، والمجازات العقلية ، التى

تشكل جانباً عظيما فى تراثنا الأدبى ، ما دام المؤلف سيصرف كل لفظ إلى حقيقته ! !

ثم إن العلم الحديث يرجح أن لفظ هذا الخبر من باب الحقيقة لا من باب المجاز ، فإذا عرفنا أن سرعة الضوء ( ٣٠٠,٠٠٠ ) ثلاثمائة ألف كيلو متراً فى الثانية ، وأن ضوء كثير من الكواكب والنجوم يستغرق وصوله إلينا ساعات ضوئية ، ومنها ما يستغرق أياماً بل عشرات السنين الضوئية . . . وإذا تذكرنا إلى جانب هذا قوله تعالى : « **.. وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم** » (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى وصف الجنة : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (٢) إذا تذكرنا كل هذا — أدركنا أنه ليس فى هذا الحديث ما يثير العجب العجاب ، ولا ما يستدعى الإنكار على راويه ، بل نزداد إيماناً بصحة هذا الخبر الذى أيده النقل والعقل والمقاييس العلمية . . .

ولن أطيل فى هذا مع أبى ريّة ، بل أترك للدكتور طه حسين أن يبين رأيه فى بعض ما ذكره المؤلف فى كتابه ، علماً بأن كلمة الدكتور طه حسين كلمة ثناء على المؤلف وعلى كتابه ، وقد نشر المؤلف بعض هذه الكلمة — بعد أن رفع منها سقطاته التى أخذها عليه الدكتور طه حسين — فى كراسة صغيرة كشهادة قيمة فى كتابه (٣) ! ! !

---

(١) الحديد : ٢١ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ٢١٧٥ ، ج ٤ ، حديث ٥ . أخرجه عن سهل بن سعد الساعدى .

(٣) لقد ثارت ضجة علمية حول كتاب ( أضواء على السنة المحمدية ) لأبى رية ، لما فيه من انحراف عن الصواب ، ومخالفة للعلم وطعون فى بعض الصحابة والتابعين ، واستخفاف بالمدونات الحديثية ، وأخطاء علمية واضحة تخالف الواقع التاريخى ، وما ذكره الدكتور طه حسين من مآخذ عليه لا يساوى عشر ما ورد فيه ، إلى جانب التحريف فى بعض النصوص ، وعزو بعض الأقوال إلى غير أصحابها . وقد ذكرت بعض ذلك فى مواضعه ، كما بينت الكتب التى صدرت رداً على الكتاب المذكور .

ومن العجيب أن ينشر هذا الخطل فى القول ، وينتقل إلى مختلف الطبقات على ما فيه من=

فبعد أن تكلم الدكتور عن الكتاب وموضوعه وجهود مؤلفه قال (١) :
( وهذا كله سجله المؤلف في كتابه ولكنه لم يبتكره من عند نفسه وإنما هو شيء كان المتقنون من علماء المسلمين يقولونه ويذيعونه فى كتبهم كما فعل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما . .

ولكن المؤلف مع ذلك قد أسرف على نفسه فى بعض المواطن ، ولست أريد أن أذكر هذه المواطن كلها تجنباً للإسراف فى الإطالة ، وإنما أكتفى بضرب الأمثال : فمنها مثلا هذه المؤامرة التى دبّر فيها مقتل عمر ابن الخطاب رحمه الله ، وشارك فيها كعب الأحبار وهو يهودى أسلم أيام عمر ، والرواة يحدثوننا بأن كعباً هذا أنبأ عمر بأنه مقتول فى ثلاث ليال ، فلما سأله عمر عن ذلك زعم أنه يجده فى التوراة ، فدهش عمر لأن اسمه يذكر فى التوراة ولكن كعباً أنبأه بأنه لا يجد اسمه فى التوراة وإنما يجد صفته . ثم غدا عليه فى اليوم الثانى لهذا الحديث فقال له : بقى يومان . ثم غدا عليه فى اليوم الثالث فقال له : مضى يومان وبقى يوم وإنك مقتول من غد ، فلما كان الغد فى صلاة الصبح أقبل ذلك العبد الأعمى فطعنه وهو يسوى الصفوف للصلاة ، والمؤلف يؤكد أن عمر إنما قتل نتيجة لمؤامرة دبرها الهرمزان وشارك فيها كعب ، ويؤكد أن هذه المؤامرة ثابتة لا يشك فيها إلا الجهلاء .

وأريد أن أؤكد أنا للمؤلف أنى أنا أحد هؤلاء الجهلاء ، لأنى أشك فى

---

=أخطاء فادحة، وطعون صريحة ، مما يدخل الشك فى نفوس الذين لم يؤتوا نصيباً كافياً من الاطلاع على هذا العلم العظيم الواسع .

فقد نشرت مجلة ( روز اليوسف ) فى عددها ١٧٢٢ — السنةالسادسة والثلاثون — (يوم الاثنين ١٢ يونيو سنة ١٩٦١ ) مناقشة لأبى رية مع أحد محرريها ، تحت عنوان ( العقل والدين ) . تدور تلك المناقشة حول ما جاء فى كتاب أبى رية والأحاديث النبوية ، وقد طعن فى السنة على الملأ وفى كتب الصحاح ، وفى تدوين السنة ، فأعطى صورة مشوهة لتاريخ السنة ورجالها ، وهاجم أبا هريرة ، وأقل ما قاله فيه: إنه هوالذى أفسد الحديث ، وإنه لم تكن له أية مكانة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، وادعى أن بعض الأحاديث تتنافى مع العقل والقرآن والعلم ، وشهد الله أنى لولا الإطالة ، لأثبت كلمته ، وبينت فريته .

(١) جريدة الجمهورية ، عدد الثلاثاء ، ٢٥ نوفمبر ( تشرين الثانى ) سنة ١٩٥٨ ، تحت عنوان : أضواء على السنة المحمدية .

هذه المؤامرة أشد الشك وأقواه ، ولا أراها إلا وهماً ، فقد قتل ذلك العبد المشئوم نفسه قبل أن يسئل ، وتعجل عبيد الله بن عمر فقتل الهرمزان دون أن يسئل ، وعاش كعب الأحبار هذا سبعة أعوام أو ثمانية دون أن يسأله أحد أو يتهمه أحد بالاشتراك فى هذه المؤامرة ، وكان كثيراً ما يدخل على عثمان ، ثم ترك المدينة وذهب إلى حمص فأقام فيها حتى مات سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فمن أين استطاع المؤلف أن يؤكد وقوع هذه المؤامرة أولاً ، ومشاركة كعب فيها ثانياً ، مع أن المسلمين قد غضبوا حين تعجل عبيد الله ابن عمر حين قتل الهرمزان جهلا عليه ، ولم يقدمه إلى الخليفة ولم يقم عليه البينة لأنه شارك من قريب أو من بعيد فى قتل أبيه .

وقد ألح جماعة من المسلمين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على عثمان أن يقيم الحد على عبيد الله لأنه قتل مسلماً دون أن يقاضيه إلى الإمام ، ودون أن يثبت عليه قتل عمر بالبينة . فعفا عنه عثمان مخافة أن يقول الناس : قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم .

وعدّ الثائرون على عثمان هذا العفو إحدى أغلاطه ، وكان على حين تولى الخلافة مزمعاً معاقبة عبيد الله على فعلته تلك ، ولكنه هرب من علىّ ولجأ إلى معاوية ، فعاش فى ظله ، وقُتل فى موقعة صفين . ولم يسأل عثمان كعباً عن شىء . ولم يتهمه أحد بشىء وقد ذهب من المدينة إلى الشام ومعاوية أمير عليها فعاش فيها حتى مات فلم يسأله معاوية عن شىء ، فمن أين يأتى هذا التأكيد الذى ألحّ فيه المؤلف حتى لعن كعباً ولم يكن له ذلك فالمعروف من أمر كعب أنه أسلم ، والمعروف كذلك أن لعن المسلمين غير جائز .

ومثل آخر فى الصفحة ١٥٤ حين زعم أن أبا هريرة رحمه الله لم يصاحب النبي محبة له أو طلباً لما عنده من الدين والهدى ، وإنما صاحبه على ملء بطنه ، كان مسكيناً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطعمه . والمؤلف يروى لإثبات ذلك حديثاً رواه أحمد بن حنبل ورواه البخارى ولكن مسلماً نفسه روى هذا الحديث نفسه عن أبى هريرة ونص الحديث عند مسلم أصرح وأوضح من نصه عند البخارى وابن حنبل . فقد كان

أبو هريرة يقول فيما روى مسلم أنه كان يخدم النبي على ملء بطنه ، وفرق بين من يقول إنه كان يخدم ومن يقول إنه كان يصاحب ، وحسن الظن فى هذه المواطن شر من سوئه ، وما أظن أبا هريرة أقبل من اليمن مع من أقبل منها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لا ليؤمن به ولا ليأخذ عنه الدين بل ليملأ بطنه عنده .

هذا إسراف فى التأويل وفى إساءة الظن .

والمؤلف شديد على أبى هريرة شدة أخشى أن يكون قد أسرف فيها شيئاً . فنحن نسلِّم أن أبا هريرة كان كثير الحديث عن النبي ، وأن عمر شدّد عليه فى ذلك ، وأن بعض أصحاب النبي أنكروا بعض حديثه ، وأنه أخذ كثيراً عن كعب الأحبار ، وكان المؤلف يستطيع أن يسجل هذا كله تسجيلا موضوعياً كما يقال ، دون أن يقحم فيه غيظاً أو موجدة ، فهو لا يكتب قصة ولا يكتب أدباً فيظهر شخصيته بما ركب فيها من الغضب والغيظ والموجدة ، وإنما يكتب علماً يتصل بالدين ، وأخص مزايا العلماء ولا سيما فى هذا العصر أنهم ينسبون أنفسهم حين يكتبون العلم أنهم يبحثون ويقررون بعقولهم لا بعواطفهم .

فمن الظلم لأبى هريرة أن يقال إنه لم يصاحب النبي إلا ليأكل من طعامه والذى نعلمه أنه أسلم وصلى مع النبي وسمع منه بعض أحاديثه ، فليقل فيه المؤلف أنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين ، وقد روى من الحديث أكثر مما روى المهاجرون الذين صحبوا النبي بمكة والمدينة ، وأكثر من الأنصار الذين صاحبوا النبي منذ هاجر إلى المدينة حتى آثره الله بجواره ، وهذا يكفى للتحفظ والاحتياط بإزاء ما يروى عنه من الحديث .

وأخرى أريد أن أثبتها هنا وهى أن المؤلف يقول فى حديثه الطويل عن أبى هريرة أنه لحرصه على الأكل ورغبته فى الطيبات كان يأكل عند معاوية ويصلى مع علىّ ويقول : إن الأكل مع معاوية أدسم أو بعبارة أدق إن المضيرة عند معاوية أدسم — والمضيرة لون من الحلوى — وإن الصلاة مع على أفضل .

وأريد أن أعرف كيف كان يجتمع لأبي هريرة أن يأكل عند معاوية ، ويصلي مع علي . وقد كان أحدهما في العراق والآخر في الشام ، أو أحدهما في المدينة والآخر في الشام إلا أن يكون قد فعل ذلك أثناء الحرب في صفين ، وما أحسبه كان يسلم لو فعله أثناء الحرب ، إذن لاتهمه أحد الفريقين بالنفاق والتجسس . وإنما هذا كلام قيل في بعض الكتب وكان يجب على الأستاذ المؤلف أن يتحقق منه قبل أن يثبته .

فهذا أيسر ما يجب على العلماء .

وبعد .. فالمؤلف يطيل في تأكيد ما اتفقت عليه جماعة المسلمين من أن الأحاديث التي يرويها الأفراد والآحاد كما يقول المحدثون لا تفيد القطع وإنما تفيد الظن وحده ومن أجل ذلك لا يستدل المسلمون بهذه الأحاديث على أصول الدين وعقائده وإنما يستدلون بها أحياناً على الأحكام الفرعية في الفقه ، وعلى فضائل الأعمال ويستعان بها على الترغيب في الخير والتخويف من الشر . وكل الأحاديث التي اعتمد عليها المؤلف في المواضع التي ضربنا لها الأمثال إنما هي أحاديث رواها الأفراد والآحاد فهي لا تفيد قطعاً ولا يقيناً ، فما باله يرغب عن الإفراط في الثقة بهذه الأحاديث ، ثم يستدل بها هو ليتهم الناس بأشياء لا سبيل له إلى إثباتها .

وملاحظة أخيرة أختم بها هذا الحديث الذي أراه على طوله موجزاً ، وهي أن المؤلف قد أخذ في كتابه وهو مؤمن فيما يظهر بأنه لن يظفر برضا الناس عنه ولن يظفر برضا فريق من رجال الدين خاصة ، فعرّض بهم أحياناً ، واشتد عليهم أحياناً أخرى ، ووصفهم بالجمود حيناً وبالتقليد حيناً ، وبالحشوية أحياناً ، فأغرى هؤلاء الناس بنفسه وسلطهم على كتابه ، وخيّل إليهم أنه يبغضهم ، ولا يراهم أهلاً للبحث القيم ، والمحاولة لاستكشاف حقائق العلم ، ولو أنه صبر حتى يخرج كتابه ويقرأه الناس ، ويسمع رأيهم فيه ونقدهم له لكان هذا الصبر خيراً له وأبقى عليه .

ويثني على جهوده بكلمات معدودة ثم يقول : ولا بأس عليه من هذه

الهنات (١) التى أشرت إلى بعضها ، فالذين يبرؤون من النقص والتقصير أو الهفوات أحياناً لا يكادون يوجدون وصدق بشار حين قال :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القـذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربـه

طه حسين

❋ ❋ ❋

وأختم هذا البحث بكلمة لابن خزيمة (٢) يدافع فيها عن أبى هريرة ويبين أصناف الطاعنين فيه . فتظهر من خلالها منزلة أبى هريرة ومكانته ، وفى هذا مسك الختام .

قال ابن خزيمة :

( وإنما يتكلم فى أبى هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

❋ **إما معطل جهمى** ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم — الذى هو كفر — فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه تمويهاً على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة ؟

❋ **وإما خارجى** ، يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، خلاف مذهبهم الذى هو ضلال ، لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة ؛ كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة ! .

---

(١) أو بعد هذه الهنات لا بأس عليه !! ؟ .

لقد أراد الدكتور طه حسين أن يضمد الجروح التى أحدثتها بعض سهام نقده ، ويكفكف من دموع أبى رية ، ويخفف من آلامه ، بعد أن أصابه فى صميم فؤاده ، وبين خطأه فى لب موضوعه ، بل فى مخ عظمه ، لقد أراد أن يمسح على رأسه بشىء من أدبه الرقيق اللطيف كعادته ، ولكن أنى يكون هذا ؟؟ وأى شىء يجديه وقد كثرت الطعنات ، ونزفت الدماء !!؟ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمى ( ٢٢٣ — ٣١١هـ ) ، أحد مشايخ شيوخ الحاكم . كان إمام نيسابور فى عصره ، جمع بين الفقه والاجتهاد ، عالم بالحديث ، رحل إلى بلاد كثيرة منها : العراق والشام والجزيرة ومصر ، لقبه السبكى بإمام الأئمة ، له مصنفات كثيرة تربو على ( ١٤٠ ) : طبقات السبكى : ٢/١٣٠ .

❋ **أو قدرى** ، اعتزل الإسلام وأهله ، وكفّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية ، التى قدّرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة ، التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر ، لم يجد بحجة تؤيد (١) صحة مقالته التى هى كفر وشرك ، كانت حجته ( عند نفسه ) (٢) : أن أخبار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !.

❋ أو جاهل ، يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره (٣) . تقليداً بلا حجة ولا برهان — تكلم (٤) فى أبى هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره عن مخالفيه ، إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ! !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبى هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ! ! أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل . . ) (٥) .

❋ ❋ ❋

---

(١) فى الأصل ( يريد ) وما أثبتناه أصوب .
(٢) هكذا فى الأصل .
(٣) فى الأصل ( أخباره ) ، وما أثبتناه أكثر مناسبة للمعنى .
(٤) فى الأصل ( كلم ) . وما أثبتناه أصوب .
(٥) مستدرك الحاكم : ٥١٣/٣ .